

الإشكالات الجغرافية لمولد المسيح ونشأته بين الكتاب المقدس والدراسات العلمية

الأستاذة: آسيا شكير
جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية
قسنطينة - الجزائر

مقدمة:

إن المسيح هو الشخصية المحورية التي بني عليها نسق القصص الإنجيلي، والأنجيل هي الوثائق التاريخية الأولى التي اهتمت بجوانب مختلفة من حياة المسيح كالولادة والتعميد والدعوة وتأسيس الجماعة المسيحية الأولى.

ويعتبر مكان ولادة المسيح ونشأته من المواضيع المثيرة للجدل في العصر الحديث، خاصة بعد التقدم الذي عرفته الدراسات التاريخية والأركيولوجية والنقدية، وقد أحاط الباحثون والنقاد حياة المسيح بالكثير من العناية، وتضافرت جهود الباحثين في عدة تخصصات للكشف عن خبايا حياته وأسرارها، وقد استغل باحثو الأديان ما توصلت إليه الاكتشافات الأركيولوجية، والتاريخية وحتى الأدبية لدراسة النصوص الإنجيلية وإعادة تشكيل جغرافيتها.

فقد كان من الشائع في الأوساط المسيحية أن المسيح ولد في بيت لحم ونشأ في الناصرة في الجليل وعاش فيها طيلة حياته وبشر برسالاته، وكان تلامذته وأتباعه جليليين، وهو لم يذهب إلى أورشليم إلا في أواخر مسيرته التبشيرية حيث صلبه اليهود .

الحقائق التاريخية والنقدية أصبح لزاما علينا التأكد من مدى مصداقية القصص الإنجيلية، الخلفية الفكرية والدينية التي رصدت لنا جغرافية مولد ونشأة المسيح، وعليه يحق لنا أن نسأل، أين ولد المسيح حقيقة؟، وأين نشأ؟؟

إن معالجة مثل هذا الموضوع يقتضي منا التزام المنهج التحليلي النقدي، الذي يستلزم سيمه إلى مطلبين، الأول يهتم بعرض مكان الولادة وتناول من خلاله المصدرية النصية موضوع ونقدها، ثم تقديم النقد الخارجي للموضوع، أما المطلب الثاني فتعرض من خلاله نشأة المسيح والإشكالات المثارة حوله.

إن هذه المقالة هي ثمرة مجهود شخصي، انطلقت بذرته الأولى من بعض الدراسات النقدية، وقد قمنا بتطعيمها بالرؤية القرآنية للموضوع الشيء الذي أفرز منها جديدا من خلاله لإبراز الرؤية القرآنية.

وقد ارتأينا أن نضع بين يدي القارئ الكريم أهم مصادر القرن العشرين التي اعتمدت الجغرافية لحياة المسيح لكننا للأسف لم ننجح في الوصول إلى أغلبها، وقد اعتمدنا مصادر أخرى حاولنا من خلالها تقديم الموضوع بنسق علمي أضفينا عليه الكثير من الشخصيات، ومن بين تلك المصادر:

Jonathan L. Reed : Archeology and the Galilean Jesus, a re-examination of the evidence.

Baguitti: Exavation in Nazareth

ويجبنا متى نفسه مقتبساً من العهد القديم نبوءة حول المخلص الآتي الذي لطالما انتظره اليهود ليخرجهم من ظلمات الشتات والأوضاع المزرية اجتماعياً واقتصادياً وسياسياً إلى نور الخلاص وأمل الحياة تحت حكم هذا المخلص الذي سترسخ له جميع الشعوب، والذي سيكون ميلاده في بيت لحم اليهودية حسب النبوات القديمة¹، فيقول: "وأنت يا بيت لحم أرض يهوذا، لست الصغرى بين رؤساء يهوذا، لأن منك يخرج مدبر يرعى شعبي إسرائيل"² ولكي يرر متى وجود أسرة المسيح في الجليل ونشأته وتبشيره هناك فإنه ابتكر قصة هروب العائلة المقدسة إلى مصر خوفاً من بطش هيرود³ بالطفل، ولكن عندما توفي هيرود عاد يوسف مع زوجته والطفل الصغير ليسكن في موطنه الأصلي بيت لحم، ولكنه عرف لدى وصوله أن ابن هيرود خلف والده فخاف ونزح إلى الجليل حيث سكن مدينة

¹ - John Bird Sumer : vérité du christianisme- prouvée par la nature même de cette religion et par le fait de son établissement- , traduit de l'anglais par : le vicampte. P.e. Lanjuinais, (paris : bradouin, 1826), p 93-95.

² - مت: 2/6، اقتبس النبوءة من ميخا: 5/2 "أما أنت يا بيت لحم أفراتة، وأنت صغيرة أن تكوني بين ألوف يهوذا، فمناك يخرج لي الذي يكون متسلطاً على إسرائيل ومخارجه منذ القديم منذ أيام الأزل".

³ - هيرودوس: اسم عدة شخصيات ورد ذكرها في العهد الجديد، وهيرود الكبير هو ملك اليهودية من 37 إلى 4 ق.م، وينسب إليه مقتل الأطفال في بيت لحم.

صباحي حموي اليسوعي: معجم الإيمان المسيحي، أعاد النظر فيه من الناحية المسكونية: جان كوربان، ط1، (بيروت: دار المشرق ومجلس كنائس الشرق الأوسط، 1994م)، ص 529.

الناصر، ونجد متى يتفنن في ابتكار نبوة لا أثر لها في العهد القديم¹ عندما يقول: "وأتى وسكن في مدينة يقال لها الناصرة لكي يتم ما قيل بالأنبياء: إنه سيدعى ناصرياً"².

2- النقد الخارجي:

أوضح البحث التحليلي والتاريخي أنه يجب اعتبار مولد يسوع في بلدة بيت لحم كعنصر من عناصر قصة كونتها التفسير الدينية المسيحية الأولى من الناحية الأدبية، أما إذا أخضعنا النصوص إلى النقد

التاريخي، فستضح لنا الغموض الذي لطالما خيم على مكان مولد المسيح.

لقد حاولنا البحث عن موقع بيت لحم، ولأن الحقيقة لا يمكن أن تخبأ، اكتشفنا أن هناك مدينتين تحملان اسم بيت لحم.

1- بيت لحم يهوذا³: ويقال لها أيضاً "أفراة"، تقع إلى الجنوب من أورشليم على بعد نحو خمسة أميال منها جاء وصفها في سفر أخبار الأيام، سلما بن كالب، بأنه "أبو بيت

¹ - فراس السواح: الوجه الآخر للمسيح - موقف يسوع من اليهود واليهودية وإله العهد القديم ومقدمة في المسيحية الغنوصية - ط1، (دمشق: دار علاء الدين، 2004م)، ص 23-24.

² - مت: 23/2.

³ - وهي مدينة وعلى ارتفاع نحو 350، 2 قدما فوق سطح البحر. وتحتل المدينة موقعاً متميزاً على حرف من جبل يمتد من تجمعات المياه من الأودية العميقة شرقاً، إلى الشمال الشرقي والجنوب، وعلى مقربة من الطريق الرئيسي إلى تقوع و"عين جدي"، فهي في موقع حصين بطبيعته، وكانت تحتله حامية فلسطينية في أيام داود (2 صم 23: 14، 1 أ خ 11: 16). كما قام رجعا بتحصين بيت لحم مع بعض المواقع الأخرى (2 أ خ 11: 6). (نبيل نجيب سلامة: دراسات أثرية وتاريخية، أورشليم... القدس وأهم الآثار الموجودة بها، مراجعة وتقديم: نيافة الألبا بطرس، ط1، (مصر: دار القديس يوحنا الحبيب، 1994)، ص 86، قاموس الكتاب المقدس، ص 206)

لحم¹، ويسجل سفر التكوين أن "راحيل" دفنت في طريق أفراته التي هي بيت لحم². وفي العصور المتأخرة للكتاب المقدس: يبدو أن بيت لحم - بعد زمان داود - فقدت أهميتها، ولكن النبي ميخا أنبأ بمستقبلها الزاهر: "أما أنت يا بيت لحم أفراته وأنت صغيرة أن تكوني بين ألوف يهوذا، فمَنك يخرج لي الذي يكون متسلطا على إسرائيل، ومخارجه منذ القديم منذ أيام الأزل"³.

الثانية: بيت لحم زبولون: وكانت تقع في نصيب سبط زبولون⁴ ولعلها موطن "إبسان" قاضي إسرائيل⁵. وهي الآن قرية صغيرة تحتفظ باسمها القديم "بيت لحم" وتقع على بعد نحو سبعة أميال شمالي غرب الناصرة الحالية "على حافة غابة البلوط، وقد عثر مؤخرا على بعض الآثار، بهذه القرية، مما يؤكد أنها كانت ذات شأن كبير في العصور القديمة، ولا زالت هذه القرية تدعى بهذا الاسم⁶.

وقد بينت التنقيبات الأثرية أن هناك مدينة تدعى بيت لحم الجليل كانت قائمة ومزدهرة خلال حياة المسيح، وقد أرجعوا تاريخها إلى القرن السابع قبل الميلاد، وتظهر في المصوّرات الجغرافية القديمة والتي من بينها مصوّر بطليموس الذي يرجع بتاريخه إلى نحو 160م، وقد تتالت على المدينة مراحل خراب وهجران ثمّ بناء وازدهار طوال أكثر من

¹ - أ.خ: 51/2.

² - تك: 19/35، 7/48.

³ - ميخا: 2/5.

⁴ - يش: 19/15.

⁵ - قض: 12/8 - 10.

⁶ - قاموس الكتاب المقدس، ص 206.

ألفي سنة، وعند إعلان قيام دولة إسرائيل عام 1948 استوعبت حدودها بيت لحم مع معظم الجليل، وهي تظهر الآن في جميع الخرائط الحديثة لدولة إسرائيل تحت اسم¹. ويقول إرنست رينان (E. Renan) في هذا الصدد إن المسيح وُلد في الناصرة، وهي بلدة صغيرة بالجليل، ولم يكن لها أى شهرة من قبله، وطوال حياته عُرف يسوع بالناصري، ولم يفلحوا في جعله يولد في بيت لحم إلا بالتحايل المخرج، والإحراج هنا ناجم عن أن يسوع لا يمكن أن يولد في وقت واحد أيام هيرود وأيام إحصاء التعداد والفرق بين الحدثين أحد عشر عاماً، ولا يمكن أن يولد في بلدة لم تكن موجودة في عهده².

ويبدو مما تقدم أن المدينة المرشحة بقوة لأن تكون مكان الميلاد ليست بيت لحم اليهودية، وإنما مدينة أخرى في الجليل تحمل الاسم نفسه، وقد تمّ التعطيم عليها تاريخياً، وهي تقع مقابل السفوح الشمالية الشرقية لجبل الكرمل.

ويمكن القول بأن الأخبار التي تواترت إلى مؤلف إنجيل متى عن بيت لحم بأنها الموطن الأصلي لأسرة المسيح قد تكون صحيحة، إلا أن متى أراد أن يسقط النبوات التوراتية على المسيح، ووجه الأنظار إلى بيت لحم يهوذا بدلاً من بيت لحم الجليل لتحقيق النبوة الواردة في سفر ميخا عن ولادة المخلص، وذات الأمر ينطبق على نسبة المسيح للناصرة هذا الأمر الذي سنتناوله بعناية خاصة.

المطلب الثاني: إشكالية الناصرة

فمن الشائع حسب المصادر المسيحية أن المسيح أمضى طفولته وشبابه في مدينة الناصرة، قال متى في نهاية قصته عن الميلاد إن يوسف بعد عودته من مصر خاف من العودة

¹ - فراس السواح: الوجه الآخر للمسيح، ص 119.

² - Ernest Renan: la vie de Jésus, 13 eme édition, (Paris : Michel levis frères, 1867), p 21-22 .

إلى بيت لحم و"انصرف إلى نواحي الجليل وأتى وسكن في مدينة يقال لها ناصرة، لكي يتم ما قيل في الأنبياء إنه يدعى ناصرياً"¹، وهذه فقرة أخرى لمتى يحاول من خلالها إثبات أن المخلص الآتي سيسكن مدينة الناصرة، لكن الشيء الملاحظ أن هذه النبوة ليست موجودة في نبوات العهد القديم²، لكن هناك من يرى أن هذه الكلمة مرتبطة بما جاء في إشعيا: "ويخرج قضيب من جذع يسي وينبت غصن من أصوله ويحل عليه روح الرب روح الحكمة والفهم روح المشورة والقوة روح المعرفة ومحافة الرب"³ فقد حددت أحد أجداد المسيا وهو يسي، من أجل هذا قال جذع يسي، وقوله يسي ابنه ذهنيًا إلى بيت لحم، والجذع الذي هو قريب من الأرض يشير إلى الأصل أو مكان الولادة.

أما الكلمة العبرية "نتصر" נצור والتي معناها غصن، فتشير إلى أن المسيح سيدعى ناصرياً "وكلمة ناصرة هي نفسها تعبير الغصن في اللغة العبرية مضاف إليها تاء التأنيث، وهذا معناه المخلص الغصن (نتصر) נצור سيسكن مدينة الناصرة (نتصره)"⁴.

وقد شكل اسم هذه المدينة أهم المواضيع التي اهتم به النقاد قديماً وحديثاً، فوجدوا أن اسمها لم يرد في النص اليوناني بصيغة Nasirah المقابل للناصرة נצרה، وإنما بصيغة Nazareth (نازاريت). أما النسبة إليها فقد وردت بصيغة Nazoraïos (نازورايوس). وقد احتفظت

¹ - 23-22 / 2.

2- jacques saurin : Sermons sur divers textes de l'écriture sainte, (paris : treuttel et wurtz, 1835), tome 8, p 197-198.

³ - إيش: 2-1/11.

⁴ - John Peter Lange : the Gospel according to Matthew together with a general theological and homiletical introduction to the new testament , translated by Philyp Schaff, the third edition, (new york : charles scribner, 1865), p 64.

الإشكالات الجغرافية لمولد المسيح ونشأته ----- أ.أسيا شكيرب

الترجمات الأوربية بصيغة Nazareth كاسم للمدينة التي عاش بها المسيح ولكنها نسبت إليه بصيغة Nazarene الإنكليزية، وصيغة Nazaréen الفرنسية¹.

وترى الكاتبة Gudgry أن هناك دراسات حديثة تسعى لإستناد نص متى إلى ما جاء في سفر القضاة "فها انك تحبلين وتلددين ابنا ولا يعل موسى رأسه لان الصبي يكون نذيرا لله من البطن وهو ييدا يخلص إسرائيل من يد الفلسطينيين"² وأيضا: "ولما كانت تضايقه بكلامها كل يوم وألحت عليه ضاقت نفسه إلى الموت. فكشف لها كل قلبه وقال لها لم يعل موسى رأسي لاني نذير الله من بطن أمي"³، وهناك نظرية بهذا الخصوص تنبأها Epiphanius⁴ ومفادها أن أصل الكلمة اليونانية Nazoraïos، "النذير" أو "المنذور" وهو واحد من فرقة النذيريين⁵ وهي طائفة من المندائيين Mandaeans⁶، وهو يرى أن كلمة

¹ - John Peter Lange : the Gospel according to Matthew, P 64.

² - قض: 13 : 5-7.

³ - قض: 17/16.

⁴ - هو أسقف سلاميس salamine وأب للكنيسة، ولد في فلسطين حوالي 320م، أهم مؤلفاته: الإنسان ذو المرساة الثابتة ANCORATUS، وضد الهرطقات PANARIUM والإثنا عشر حجرا كريما، توفي سنة 403م

(Luis Mayenl Chauden : Nouveau Dictionnaire Historique, 6^{eme} ed, (Société de Gens des Lettres, Bruyset, 1789), vol3, p427 .)

⁵ - هي جماعة تفرد بأخلاقيات معينة وممارسات خاصة بهم؛ فهم لا يشربون الخمر، ولا يقصّون شعورهم، ولا يحتكون بالموتى، ويتبعون نظاماً غذائياً صارماً. (قاموس الكتاب المقدس، ص 967).

⁶ - أصل التسمية من مندأ أي وهي ديانة موحدة، كانت منتشرة في بلاد الرافدين وفلسطين ما قبل بعثة المسيح ولا يزال بعض من أتباعها موجودين في العراق، ويسمون أيضا الصابئة ومسيحيو القديس يوحنا.

Encyclopédie théologique ou série de dictionnaires sur toute les parties, (Paris : Jacques-Paul Migne , 1866), tome 5, p609-610.

الناصريين الواردة على لسان ترتلس Tertulus في سفر الأعمال: "وبعد خمسة أيام انحدر حنايا رئيس الكهنة مع الشيوخ وخطيب اسمه ترتلس، تعرضوا للوالي ضد بولس.... ومقدام من شيعة الناصريين"¹ يعود أصلها إلى فرقة النذيريين²، ويؤكد Lewis Spencer في كتابه "the Mystical life of Jésus" أن صفة الناصري لم تكن في ذلك الوقت تعني شخصا من مدينة الناصرة، بل كانت تعني شخصا ينتمي إلى شيعة سريانية غير يهودية³ تدعى شيعة الناصريين Nazarene ومثلها أيضا شيعة النذيرين Nazarite وشيع أخرى قريبة منها، وجميع هذه الشيع تضم وثنين من حيث المولد ويهودا جليليين حديثي العهد باليهودية، وكان لهذه الشيع مقام مقدس على جبل الكرمل، ودير هو أشبه بالمعهد الديني⁴.

وقد جاء ذكر هؤلاء النذيرين في مواضع عدة من التوراة، منها: "...وأنا أصعدتكم من أرض مصر وسرت بكم في البرية أربعين سنة لثرتوا أرض الآمورين، وأقامت من بينكم أنبياء ومن فتيانكم نذيرين. أليس هكذا يا بني إسرائيل يقول الرب؟ لكنكم سقيتم النذيرين خمرًا وأوصيتم الأنبياء قائلين لا تتبأوا"⁵.

¹ - أع: 5/24.

² - Ray A. Pritz s : Nazarene Jewish Christianity- from the end of the new testament period until its disappearance in the fourth century, reviewed by: Robert M. Price, (the Hebrew university: E. J. Brill and the Magnes Press, 1988) , p 12.

³ - ما يقصده الكاتب من غير يهودية، أن هذه الشيعة الناصريين ظهرت في منطقة الجليل الذي لم تحو حتى مطلع القرن الثاني قبل الميلاد إلا على جالية يهودية قليلة العدد، وقد كان الجليليون ينظرون بعداء إلى هؤلاء ويعتبرونهم جسما دخيلا على المجتمع الجليلي. (فراس السواح: الوجه الآخر للمسيح، ص 113).

⁴ - المرجع نفسه، ص 93-94.

⁵ - عا: 12-10 / 2.

ويكلمنا سفر العدد عن أصول هؤلاء النذيرين: "وكلم الرب موسى قائلاً: كلم بني إسرائيل وقل لهم: إذا انفرد رجل أو امرأة لينذر نذر النذير، لينتذر للرب، فعن الخمر والمسكر يفترز ولا يشرب خلّ الخمر ولا خلّ المسكر، ولا يشرب من نقيع العنب ولا يأكل عنباً رطباً أو يابساً. كل أيام نذره افتراز، لا يمر موسى على رأسه إلى كمال الأيام التي انتذر فيها. للرب يكون مقدساً، ويرتبي خصلات شعر رأسه. كل أيام انتزازه لا يأتي إلى جسد ميت"¹. وقد كان شمشون واحداً من هؤلاء النذيرين حسب ما جاء في سفر القضاة: "وكان رجل من صرعة من عشيرة الدانين اسمه منوح وامرأته عاقر لم تلد، فترأى ملاك الرب للمرأة للرب وقال لها: ها أنت عاقر لم تلدي، ولكنك تحلين وتلدين ابناً. والآن فاحذري ولا تشربي خمراً ولا مسكراً ولا تأكلي شيئاً نجساً. فهذا أنت تحلين وتلدين ابناً ولا يعلو موسى (أداة الخلاقة) رأسه، لأن الصبي يكون نذيراً لله من البطن، وهو يبدأ يخلص إسرائيل من يد الفلسطينيين"².

وكان صموئيل منذوراً للرب من بطن أمه أيضاً³. وتحدث إرميا عن نفسه كنذير للرب من بطن أمه: "فكانت كلمة الرب إليّ قائلاً: قبلما صورتك في البطن عرفتكم، وقبلما خرجت من الرحم قدستك، جعلتك نبياً للشعوب. فقلت: آه يا سيد الرب، إني لا أعرف أن أتكلّم لأبي ولد. فقال الرب لي: لا تقل إني ولد لأنك إلى كل من أرسلك إليه

¹ - عد: 6 / 1-6.

² - قض: 13 / 5.

³ - 1 صم: 1 / 1-28.

تذهب وتتكلّم بكلّ ما أمرك به. ومدّ الربّ يده ولمس فمي وقال الربّ لي: ها قد جعلت كلامي في فمك"¹.

وتجدر الإشارة أن القرآن الكريم ذكر في العديد من الآيات عملية النذر، {إِذْ قَالَتِ امْرَأَةُ عِمْرَانَ رَبِّي إِنِّي نَذَرْتُ لَكَ مَا فِي بَطْنِي مُحَرَّرًا فَتَقَبَّلْ مِنِّي إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ}² وأيضاً {فَكُلِّي وَاشْرَبِي وَقَرِّي عَيْنًا فَإِمَّا تَرَيْنَ مِنَ الْبَشَرِ أَحَدًا فَقُولِي إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَانِ صَوْمًا فَلَنْ أُكَلِّمَ الْيَوْمَ إِنْسِيًّا}³.

وحسب المعطيات السابقة تأكد لنا أن أصل كلمة ناصريين من المنذرين، والسؤال الذي حير الكثير من الباحثين، كيف ينسب الإنجيليون المسيح إلى مدينة الناصرة مع العلم أن هذه المدينة لم تكن موجودة في وقت المسيح؟؟.

إن هناك إجماع من الباحثين على أن مدينة الناصرة بالإضافة إلى عدم ذكرها في التوراة والمصادر اليهودية الأخرى كالتلمود، فهي لا تظهر على المصورات الجغرافية والخرائط التي تعود إلى القرنين الأول والثاني للميلاد، كما أن المؤرّخ اليهودي يوسفوس الذي زودنا في نهاية القرن الأول الميلادي بقوائم عن كلّ مدن وبلدات وقرى فلسطين، لم يذكر أي معلومة عن مدينة تدعى Nazareth⁴. كما أنّها لم تذكر في الوثائق المصرية والآشورية

¹ - إر: 1/ 4-8.

² - آل عمران: 35.

³ - مريم: 26.

⁴ -George Aichele : Sign, text, Scripture: semiotics and the Bible, (England : sheffield academic press, 1997), p 80- 81.

والحثة والآرامية والفينيقية السابقة للميلاد، وأول ما ذكرت في الإنجيل على أنها مدينة محتقرة (يو: 46/1) وورد ذكرها في العهد الجديد تسعا وعشرين مرة¹.

ويقول شارل جينيير (Ch. Guignebert) بهذا الخصوص: "رغم تكرار فكرة أن يسوع من الناصرة، في عشرات الآيات، فما من نص قديم، سواء أكان وثنياً أو يهودياً، يذكر مدينة الناصرة، ثم يتناول تفسير ما نلخصه بأن هناك عملية تحريف وتلاعب بين كلمة النذير (Nazoréen)، أى الذى نذر أهله أو نذر نفسه للسلك الكهنوتى، وهى الموجودة في النصوص القديمة، وبين كلمة "الناصرى" (Nazaréen)، نسبةً إلى مدينة الناصرة التى تم إختيارها، إذ كيف يمكن لإله أن يُنذر نفسه لسلك الكهنوت؟!"².

وتؤكد التنقيبات الأثرية في مدينة الناصرة الحالية المعلومات المستقاة من التاريخ، فقد توصل الباحثون الأركيولوجيون إلى أنه لا دليل على وجود هذه المدينة في القرن الأول الميلادي، ويقول المؤرخ الفرنسي بيار أنطوان برهانم إن Nazareth لم تكن موجودة أيام المسيح، وهذه حقيقة ثابتة من الناحية الأركيولوجية والتاريخية³.

وقد حاولنا العثور على أية مدينة قديمة أو حديثة يقترب اسمها من الناصرة فلم نوفق إلا لما ذكره Epiphaneus الذي يرى أن هناك مدينة بالأردن تحمل nazaraioi الموجودة في وأصل الكلمة من نصر ٦٥١، ومعناها (انخفض - سقط بعيداً)⁴، لكن لا يمكننا الجزم بأنها المدينة التي قضى فيها المسيح جل سنين حياته.

¹ - قاموس الكتاب المقدس، ص 946، ونبيل نجيب سلامة: دراسات أثرية وتاريخية، أورشليم... القدس وأهم الآثار الموجودة بها، ص 94، والتفسير التطبيقي للكتاب المقدس، ص 1871.

² - Charles Guignebert : Jésus, (New york : Alfred a . Knopf, 1935), p 37-38.

³ - يوسف يمّين: المسيح ولد في لبنان، (لبنان: مطبعة القارح، 1999)، ص 130-131.

⁴ - Ray A. Pritz s : Nazarene Jewish Christianity-, p 33.

ورغم عدم وجود مدينة الناصرة في وقت المسيح، إلا أن العهد الجديد ذكرها في عدة مواضع، ونرى أن ما يبرر ذلك هو إردائهم القوية في تحقيق النبوات الخلاصية للعهد القديم في شخص المسيح، وأكبر دليل على ذلك ما جاء على لسان متى: "انصرف إلى نواحي الجليل وأتى وسكن في مدينة يقال لها ناصرة، لكي يتم ما قيل في الأنبياء إنه يدعى ناصرياً"¹.

وبعد هذا العرض نأتي إلى ربط ما توصل إليه النقاد اعتماداً إلى نتائج البحوث الأركيولوجية، وما جاء في القرآن الكريم.

1- {وَمِنَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصَارَى أَخَذْنَا مِيثَاقَهُمْ فَنَسُوا حَظًّا مِمَّا ذُكِّرُوا بِهِ فَأَغْرَيْنَا بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَسَوْفَ يُنَبِّئُهُمُ اللَّهُ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ} ².

2- {لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً لِلَّذِينَ آمَنُوا الْيَهُودَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُم مَّوَدَّةً لِلَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصَارَى ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَسِيسِينَ وَرُهَبَانًا وَأَنَّهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ} ³.

3- {فَلَمَّا أَحَسَّ عِيسَى مِنْهُمُ الْكُفْرَ قَالَ مَنْ أَنْصَارِي إِلَى اللَّهِ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنْصَارُ اللَّهِ آمَنَّا بِاللَّهِ وَاشْهَدْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ} ⁴.

4- {وَإِذْ أَوْحَيْتُ إِلَى الْحَوَارِيِّينَ أَنْ آمِنُوا بِي وَبِرَسُولِي قَالُوا آمَنَّا وَاشْهَدْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ} ⁵.

¹ - 23-22/2.

² - المائة: 14.

³ - المائة: 82.

⁴ - آل عمران: 52.

⁵ - المائة: 111.

5- {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا أَنْصَارَ اللَّهِ كَمَا قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ لِلْحَوَارِيِّينَ مَنْ أَنْصَارِي إِلَى اللَّهِ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنْصَارُ اللَّهِ فَأَمَّتْ طَائِفَةٌ مِّنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَكَفَرَتِ طَائِفَةٌ فَأَيَّدْنَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَى عَدُوِّهِمْ فَأَصْبَحُوا ظَاهِرِينَ} ¹.

ويبدو من الآيات السابقة أن الانتساب إلى النصرانية يقتضي الإقرار القولي {قَالُوا إِنَّا نَصَارَى}، {قَالَ الْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنْصَارُ اللَّهِ}، فبات من الواضح أن القرآن الكريم لم ينسب النصراني إلى مدينة الناصرة، بل هم نصارى لأنهم ناصرُوا المسيح.

والسؤال الذي يطرح هل النصارى هم النذيرين؟؟ لقد ثبت بما لا يدع مجالاً للشك أنهم أنصار المسيح وأنهم الجماعة المسيحية الأولى، لكن الإقرار بأن النذيرين هم النصارى يحتاج منا لبحث آخر.

ويبدو لنا كراي خاص أنه من المحتمل أن المسيح وأتباعه الذين عرفوا بالنصارى ² وشاع عنهم انتماءهم إلى شيعة النصارى ³ كما جاء في أعمال الرسل (5/24) "فإننا إذا وجدنا هذا الرجل مفسداً ومهيج فتنة بين جميع اليهود الذين في المسكونة، ومقدام شيعة الناصريين"، كان لديهم مقر معين سمي فيما بعد باسم فرقته، وهذا ما يبرر عدم وجود هذه المدينة إلا بعد انتشار المسيحية.

¹ - الصف: 14.

² - تتطابق كلمة نصارى مع نزاريين أكثر من الناصرة نازريت.

³ - لقد دعي المسيحيون أول مرة في انطاكية (اع: 26/11) نحو 42 أو 43م ويرجح أن ذلك اللقب كان شتيمة في الأول (ابط: 16/4). وهذا يعني أنهم دعوا مسيحيين بعد موت المسيح، فكيف كانوا يدعون في حياة المسيح؟؟ (قاموس الكتاب المقدس، ص 889).

خاتمة:

وبعد هذه الوقفة التحليلية النقدية مع بعض الإشكالات الخاصة بمكان ولادة ونشأة المسيح، نجمل ما توصلنا إليه في أمرين:

الأول: أن بيت لحم يهوذا لم تكن في يوم من الأيام مسقط رأس المسيح - عليه السلام- بل أن رغبة الإنجيليين متى ولوقا في تحقيق النبوات التوراتية كان حافزهما ليجعلا من المسيح المخلص الآتي الذي من شأنه انتشار اليهود من أوضاعهم الاجتماعية والسياسية المزرية.

الثاني: أن ما شاع في الأوساط المسيحية وحتى عند بعض الدارسين المسلمين من كون نسبة الناصري للمسيح تعود لمدينة الناصرة ما هو إلا زلة كبيرة ظلت تتردد على الألسن لقرون عدة، فقد ثبت عدم وجود مدينة تدعى الناصرة في وقت المسيح، وأما ما توصلنا إليه فهو انتساب أتباع المسيح إلى فرقة تدعى "نصارى" أو "نزاريت" لأنهم آثروا أن ينصروا الله. وفي ختام هذا المقال أنوه إلى ضرورة الالتفات والاستفادة من الدراسات التاريخية والأركيولوجية في هذا الشأن.